رفيقة عثمان

بطاقة

رفيقة عثمان من مواليد القدس، حصلت على شهادة اللقب الأول، والثاني في جامعة القدس، في موضوع التربية، وتُحضِّر للقب الدكتوراه.

عملت مدرِّسة في بداية مشوارها العملي، ومن ثمَّ عملت أستاذة محاضرة جامعيَّة، ومُوجِّهة تربويَّة في كلية لتأهيل المعلِّمين. تعمل حاليًّا مديرة في قسم التربية الابتدائيَّة، في مدينة القدس. وهي عضو في ندوة الأدباء "اليوم السابع" القدس.

تنشر مقالاتها في النقد الأدبي، على الصفحات الالكترونيَّة.

شاركت في العديد من المؤتمرات الدوليَّة، والمحليَّة.

صدر لها كتاب بعنوان:

- *Three Mothers, Three Daughters, Palestinian Women's Stories, 1996, California University.*

كما صدر لها عدَّة قصص للأطفال في اللغة العربيَّة:

١. اليوم الأول في الصف الأول. ٢. اليوم الأول من رمضان.

٣. عالمي الجديد. ٤. القطَّة تماره في البيَّارة.
٥. الأرنب المفقود.

obeikandl.com

*** هل يمكن إعطاؤنا لمحة عن البدايات.. وما الذي أخذك إلى عالم الأطفال..؟**

بدأت مشواري المهني بالعمل مع الأطفال الصم، ومن ثَمَّ عملت أستاذة محاضرة ومشرفة تربويَّة في كلِّيَّة التربية لتأهيل المُعلِّمين. نظرًا لإيماني بتطبيق المادة النظريَّة، والتي تشجِّع إكساب القِيم، والمفاهيم التربويَّة بطرق تربويَّة حديثة، ومن ضمنها سرد القصص الهادفة، وتشويق الطفل؛ لاكتساب تلك القِيم، والمفاهيم بطريقة غير مألوفة، وغير مُباشرة. أثناء فترة عملي كمُوجِّهة تربويَّة، ومن موقع مسؤوليَّتي، شعرت بالتزام ملح؛ لتغطية النقص، سعيت جاهدةً لمساعدة الطلاب المُتدرِّبين على إيجاد قصص تلائم أبناءنا المقدسيين، ولتجنُّب ترجمة القصص الأجنبية غير الملائمة لحضارتنا، وقيمنا، ومفاهيمنا التربويَّة التي لا تتماشى مع العادات والتقاليد الاجتماعيَّة لدينا، مما دفعني لأكتب للأطفال قصصًا تربويَّة ذات مضامين تربويَّة هادفة، لتلبِّي الاحتياجات النفسيَّة، والفكريَّة، وللتنفيس عن المشاعر الذاتيَّة لدى الأطفال. إثر مشاهداتي المتكرِّرة لردود فعل الأطفال الايجابيَّة، وتعبيرهم عن الاستمتاع لسماعهم القصص التي كتبتها، كانت هذه الفرصة ذهبيَّة بالنسبة لي؛ لأتعرَّف عن قُرب عن احتياجاتهم، ورغباتهم، وتقديرهم الايجابي لما يسمعون، وإلحاحهم في النزول عند رغبتهم لتأليف قصص يرغبون سماعها، كل ذلك زادني رغبة، وشعورًا نحوهم بالمسؤوليَّة الكبرى، لاختيار المضامين، والأسلوب المناسبين، والمُضي قُدمًا نحو التأليف، وبإمكاني تأييد القول المأثور، "إن الحاجة أم الاختراع" فعلا.

*** ماذا كان عنوان قصتك الأولى للأطفال..وماذا كان موضوعها..؟**

كانت باكورة أعمالي في أدب الأطفال: "اليوم الأول في الصَّف الأول"، حيث استُخدمت هذه القصّة، لتحتوي مشاعر الأطفال،

ومخاوفهم عند التحاقهم بالصف الأول، لأوَّل مرَّة في حياتهم، فيجد فيها الأطفال منفذًا؛ للتعبير عن مخاوفهم من فراق الأهل، والانتقال لمرحلة جديدة في حياتهم. . . تستحق المرحلة العمريَّة هذه، والانتقال من البيت إلى الروضة، والاهم من ذلك الانفصال عن الوالدين، الاهتمام الكبير منا نحن المربين، في تحضير نفسيَّاتهم لهذا الانتقال؛ لكي يُسهِّل عليهم الاندماج، والتكيّف مع الواقع الجديد، دون تعقيد يُذكر، ومرور هذه المرحلة بسلام، مما يترتَّب عليها سهولة تكيُّف الطفل في المراحل التعليميَّة القادمة بدون مشاكل.

* **هذا يدفعني إلى سؤالك عن مفهوم أدب الأطفال..؟**

هو الأدب المتخصص والموجه للأطفال، والذي يهدف إلى الارتقاء بفكر، وعاطفة الطفل أينما وُجد، يحمل مضامين تربويّة، مختلفة، يُحاكي عقليَّة الطفل وِفق الفئة العمريَّة، والذي يستخدم الأسلوب الشيِّق بما يتناسب مع تطوُّر المرحلة النفسيَّة، واللغويَّة، والعقليَّة، والاجتماعيَّة.

* **الطفل ابن السؤال..، والثقافة العربية أميل إلى الخوف من السؤال،..إنها ثقافة مجتمعات تخاف على أطفالها من تبعات طرْح الأسئلة، ولا سيّما الإناث. فهي تنكر على الطفل حقّه الطبيعي في الحلم وفي خلْق عوالمه الخاصة به،..فطرح السؤال عفْرتة، وشيْطنة، وقلة أدب..هو تحدّ للكبار وتجاوز لحدود الطفل..؟**

لا يمكن التعميم في الثقافة العربية، ولكن يغلب عليها تحجيم قدرات الطفل، وعدم منحه الحرِّيَّة في طرح الأسئلة الجريئة، والتي تبحث عن أجوبة صريحة، لا التواء، ولا هروب من مواجهتها، ثقافتنا العربيَّة بحاجة ماسَّة إلى تقدير إدراك الطفل؛ ومدى قدرته على الاستيعاب، والفهم، مثله مثل البالغ تمامًا، بل أكثر من ذلك، فهو يحس، ويشعر ويُقدِّر

الامور. لكنَّ نحن البالغين نخطئ أحيانًا عندما نُخفي عنهم الحقائق، وتلقينهم معطيات علميَّة مغلوطة، بل يلجأ البعض منَّا إلى زجر الأطفال، وتوبيخهم عندما يطرحون أسئلة مُحرجة، ولا يجيبونهم كما يقتضي الأمر، نظرًا لأنهم لا يعون، أو بأنهم سوف لا يفهمون. حبَّذا لو غيَّرنا من وجهة نظرنا، وتفكيرنا نحو تقدير قدرات الطفل بمشاعره، وتفكيره، وتنشئته تنشئة سليمة مبنيَّة على التفاهم، والصراحة في الاجابة على الأسئلة المُحرجة بما يتلاءم مع قدراته، والمرحلة العمريَّة التي يتواجد فيها. لأن التنشئة السليمة للطفل، وخاّصَّة في الخمس السنوات الأولى من عمره، كفيلة بأن تنشئ جيلا واعيًا، مستقلا، محبًّا للاستطلاع، والإبداع، متجهًا نحو التفكير التحليلي السليم، الذي يستند على الحجَّة والبرهان، وليس على النتائج القدريّة، والصدُف.

*** على الصعيد الشخصي كيف تختارين مواضيع كتاباتك، وهي ليست بالمهمة السهلة على الإطلاق.. وهل تختلف حاجات الطفل الفلسطيني عن غيره من الأطفال العرب.. وكيف تتعاملين مع هذه الخصوصية..؟**

كما ذكرت في البداية، أختار مضامين قصصي من الواقع، والاحتياجات المُلِّحة للأطفال في مجتمعنا، والتي تساهم في حث الطفل التنفيس عن مشاعر الأطفال، وتفكيرهم، وكما تساهم في تطوير قدرة التفكير والاستنتاج العلمي، والتعبير عن الذات بحرِّيَّة، وصقل شخصيَّة سويَّة، تكاد تخلو من التعقيدات، والمشاكل النفسيَّة والاجتماعيّة في المستقبل، أهتم في التدقيق باختيار المضامين التي تهدف إلى إيصال، وإكساب القيم التربويَّة، والمفاهيم التربويّة، المتوافقة مع حضارتنا، وعاداتنا وتقاليدنا الشرقيَّة، والعلميَّة باستخدام اللغة العربيَّة الفصحى السلسة.. توجُّهي في طرح مضامين قصص الأطفال التي انتقيها، ليس

موجَّهًا للأبناء، والأطفال الفلسطينيين فحسب، بل تكون موجَّهة لكافَّة أطفال العالم العربي في أرجاء العالم؛ بل أرحِّب في ترجمتها للغات أجنبيَّة أخرى، بدلا من ترجمة قصص أطفال مستوردة لأطفالنا.

*** أشار العديد من النقاد إلى اللغة المستخدمة في قصصك للأطفال فما الذي غير هذه اللغة..؟**

اللغة الُمستخدمة في قصص الأطفال التي أكتبها، هي اللغة العربيَّة الفصحى والسلسة، ذات السجع أحيانًا، والتي تضيف نغمًا موسيقيًّا للكلمات؛ لتحبيب الأطفال في سماع الأصوات، واستيعابها، كوسيلة تربويَّة حديثة؛ لإكساب اللغة بواسطة استخدام الوعي الصوتي. تعمَّدت إضافة بعض المفردات ذات المستوى العالي من مستوى مدارك الأطفال؛ كي يكتسبوا ثروة لغويَّة غنيَّة، وجديدة، واستخدامها في حياتهم اليوميَّة، تجنَّبت تمامًا استخدام اللغة العاميَّة، الُمستخدمة في الحياة اليوميَّة للطفل، قصدت بذلك الارتقاء بقدرات الأطفال اللغويَّة، وتعويدهم على اكتساب، واستخدام اللغة العربيَّة الفصحى، وذلك لإثراء قدراتهم في الوعي، والتنوُّر اللغوي، وتحفيزهم على القراءة من جيل مبكِّرة.

*** عالجت في قصتك "الأرنب المفقود"، قضية الموت، وتقبُّله عند الأطفال...ما الذي أخذك إلى هذه النقطة والتي نادرا ما يذهب إليها كتاب الأطفال العرب..؟**

في الحقيقة كان قراري صعبًا عند اختيار معالجة موضوع الموت، تردَّدت كثيرًا قبل الإقدام على الخوض فيه، نظرًا لحساسيّة الموضوع، وصعوبة تقبُّله، ليس في المجتمع العربي فحسب، بل عند كافَّة المجتمعات الأخرى.. نصحني بعض الكُتَّاب، بالابتعاد عن تناول هذا الموضع بالذات، ورفضت بعض دور النشر نشر القصَّة، خوفا من عدم

الإقبال عليها، والخسارة الماديَّة المحتومة. الا أنَّ ضرورة الأمر، وشعوري بضرورة التطرُّق لهذا الموضوع، خاصَّة بعد وقوع حادثة وفاة قريبة من محيط الأطفال، لإحدى المُربِّيات أمام أعينهم، مما دفع بعض الأهالي في تفسير اختفاء المُربِّية بتلفيق حقائق غير صحيحة، وأكاذيب لا صلة لها بالواقع، وكانت بعض التفسيرات مثلا: كأن سافرت المربيَّة بعيدًا عن البلدة، ولم تعد، وبعضهم قال بأنها ستمكث بالمُستشفى لمدَّة طويلة، وما إلى ذلك من الإجابات غير الصادقة، والهروب من مواجهة حقيقة الموت.. بدوري كمختصَّة بتربية الأطفال، لم ترُق لي كل الإجابات المتجاهلة للحقيقة، فوجدت نفسي أمام مسؤوليَّة كبرى، وتحدٍّ أكبر، فكانت قصة "الأرنب المفقود" وليدة للظروف الواقعيَّة، والمُلحة لإيجاد حلول تربويَّة معقولة؛ ولتصبح معينًا، ومُرشدًا للأهالي، والمربين أثناء التطرق لموضوع الموت، والفُقدان، وكيفيَّة التكيُّف والتعامل معه، بطريقة سلسة، ومُحبَّبة على قلوب الأطفال. حظيت هذه القصَّة مني اهتمامًا، وجهدًا غير عاديين، بتوجُّهي للأخصائيين النفسانيين، واستشارتهم في بعض الأحداث الدراميَّة، وكيفيَّة عرض الموضوع، تجنُّبًا لمس مشاعر الأطفال بسوء، ودراسة عواقب تأثير الموضوع على مشاعرهم، بالإضافة إلى توجُّهي للمصادر المختلفة؛ لمعرفة أهميَّة توضيح مفهوم الموت عند الأطفال، وكيفيَّة التعامل مع الموضوع في حضارات أخرى. لا يوجد أدنى شك بأن القصَّة تعتبر قصَّة علاجيّة تربويّة.

*** وكيف رأيت تقبل الأطفال للقاصة بعد نشرها..؟**

لاقت هذه القصَّة استحسانًا من قِبل المربِّين، والآباء، والأطفال، وكانت ردود فعلهم إيجابيَّة، ومُثيرة للتفكير، وحثَّت الأطفال على الاستفسار حول موضوع الموت، وطرح الأسئلة من قِبلهم، وخلقت القصّة حوارًا ودِّيًا، وصريحًا معهم، وربط أحداث الموت في القصَّة،

والتي تتحدَّث عن الحيوان، مع ما يحدث للإنسان في حالة الوفاة في الواقع.

*** من خلال مطالعة بعض أعمالك نجد فيها ابتعاداً عن قصص البطولات والخوارق وملامسة لواقع الطفل، ما هي وجهة نظركِ في هذا الموضوع..؟**

أرى أن هنالك ضرورة في توسيع، وإثراء خيال الطفل، ولكن بدون مبالغة فيها، وأن تُراعى المرحلة العمريَّة للطفل، وِفق النظريَّات العلميَّة، والنفسيَّة، والاجتماعيَّة، والعقليَّة، في كل مرحلة ومرحلة. في مرحلة الطفولة المُبكِّرة، والني تتميَّز بالحسِّيَّة، يحتاج الطفل إلى إشباع خياله، ويهتم في قصص البطولات الوهميَّة، والتي تُمثِّل له المثل الأعلى، فالقصص الخياليّة في هذه المرحلة حيويّة جدّا، لكن دون المغالاة في رسم الخيال لدرجة تقليد شخصيَّة الرجل الذي لا يُقهر، كشخصيَّة السوبرمان، وغيرها من الشخصيَّات. أرى بضرورة تقريب الأطفال من أحداث الواقع قدر الإمكان؛ كي لا نسبب لهم صدمات نفسيَّة فيما بعد، عند اصطدامهم بالواقع المُغاير تمامًا.. نحن بحاجة إلى بناء شخصيات سويَّة، تحتذي بأبطال حقيقيين، معروفين على أرض الواقع، وبناء شخصيات لأفراد يعرفون كيفيَّة التصرف، والتوصل إلى حلول المشاكل بواسطة استعمال طرق التفكير التحليليَّة، والاستنباط.

خلاصة الموضوع، من المهم أن ينتبه الكاتب للفئة العمريَّة المُستهدفة، ولمميِّزات هذه المرحلة، لمخاطبة عقولهم،وعواطفهم؛ ليضمن نجاح وصول الرسالة التي يهدف الكاتب إيصالها للأطفال.

*** تحدث الكثيرون عن التربية العنصرية التي تتبعها " إسرائيل " في تربيتها لأطفالها. والسؤال كيف يجب ان نربي أطفالنا..؟**

لست ممن يشجعون تربية الأطفال على التربية العنصريَّة، أو الحقد والضغينة، بل احبِّذ تنشئتهم على اكتساب القيم الإنساني ة، والأخلاق الحميدة، والمُثل العليا التي هي أصلا نابعة من تعاليم ديننا، هذا بالإضافة إلى ضرورة التنشئة على تعزيز الهويَّة، والانتماء؛ والتربية نحو صقل شخصيَّة مستقلة، تعتمد على النفس، والتفكير السليم للتصرُّف بحكمة عند التعرُض للمواقف الصعبة، بعيدة كل البعد عن التبعيَّة. من المهم صقل شخصيَّة قادرة على التعبير عن النفس بحرِّية، وإبداء الرأي الشخصي، مع تقبُّل الرأي الآخر مهما كان مغايرًا لآرائه؛ لنضمن جيلا واعيًا، مواكبًا التغيُّرات المتسارعة مع العصر الحديث.

* **لوسائل الإعلام دورها في تثقيف الطفل وتربيته، ما هي الآثار السلبية والايجابية لوسائل الإعلام على الطفل؟ و كيف ينبغي إن يستفيد الكاتب من وسائل الإعلام ويوظفها في خدمة الأطفال..؟**

أرى بأنه من الضروري أن يستغلَّ الكاتب لقصص الأطفال، الآثار الايجابيَّة لوسائل الإعلام، والاهتمام في طرح القضايا المعاصرة، والآنية، من خلال صقلها في قالب قصصي، بما يتناغم مع مدارك الأطفال العقليَّة، والعاطفيَّة، بلغة سلسة، ومُبسَّطة.

تقع على الكاتب المسؤوليَّة الكبرى في انتقاء، واختيار الأفضل من وسائل الإعلام؛ لتثقيف الأطفال تثقيفًا مُوجَّهًا، وهادفًا؛ لأن طفل اليوم سيصبح رجل المستقبل.

* **ما هو دور الرسم في أدب الأطفال.. وهل تلغي القصص المرسومة النص الأدبي فعلا.. بالتالي أيهما أهم الصورة أم النص.. الصورة بدون حوار.. أم الحوار بدون صورة..؟**

أرى أنَّ الرسومات مهمَّة، وضروريَّة؛ في قصص الأطفال؛ لأنَّ الطفل يعيش في المرحلة الحسِّيَّة، غير المُجرَّدة، وهو بحاجة للرسومات التوضيحيَّة.. يتم تصميم الرسومات في قصصي بالتنسيق مع رسَّام لقصص الأطفال، بحيث أَهتم بأن تكون الرسومات ملائمة للأفكار المكتوبة في القصَّة، وأتابع العمل مع الرَّسام حتَّى يَكتمل توافق الرسومات مع المضامين.. اهتم بأن تكون الألوان في الرسومات زاهيَّة، وجذَّابة للأطفال، وأن يكون الغلاف من الورق المُقوَّى، وصفحات الكتاب من النوع الجيِّد، واختيار الخط الواضح.

*** هل يمكن ان تعرضي كتاباتك على الأطفال قبل نشرها لمعرفة مدى تقبلهم لها..وإلى أي مدى تأخذين برأيهم..؟**

قبل إصدار القصَّة، التي أنوي نشرها، أقرأها على مسامع الأطفال المُقرَّبين منِّي، والذين استخدم أسماءَهم في دور البطولة في غالب الأحيان، وأُفاجأ دائمًا من اقتراحاتهم، وانتقاداتهم البنَّاءة؛ خاصَّة في تصميم الرسومات، وبعض الملاحظات التي يصعب على البالغين تصوُّرها أو معرفتها... احترم وأقدِّر أفكار الأطفال جدًّا، واعتبرهم موجِّهًا، ومُقيِّمًا أوَّليًّا لقصصي، قبل البالغين، أعتبرهم المُلهمين لاختيار المضامين، وأناقشهم، وآخذ بآرائهم، وهم المرآة العاكسة، لتشكيل الإصدار الأول لقصصي.

*** سؤال أخير.. بمن تأثرت في كتاباتك للأطفال..؟**

تأثَّرت بكتابات أختي الكبرى لقصص الأطفال، الكاتبة: نزهة أبوغوش.